الفصل الثالث

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

لقد نزلت فى ليلة القدر

• **ليلة القدر :**

يقول الله تعالى :

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » .

ويقول سبحانه :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ » .

وليلة القدر إذن : هى فى شهر رمضان ، أخذًا من هذه النصوص الكريمة .

ويخبر سبحانه ، عن هذه الليلة ، أنها خير من ألف شهر ، إذ تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر .

وهى فضلا عن ذلك : سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر .

ومن أجل هذا الفضل العظيم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعد لها بالعبادة ، ويهيئ الجو الروحى المناسب لنزول الملائكة والروح ، والمناسب للسلام القلبى ، الذى هو ثمرة التوبة ، والإنابة والتقوى ، والذى

هو اطمئنان النفس إلى الله ، فيخاطبها سبحانه خطاباً تفهمه .

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ : ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ - فى هذه الدنيا وفى الآخرة - رَاضِيَةً - عنِ الله ، مَّرْضِيَّةً منه - فادخلى فى عبادى - عاجلا - وادْخُلِي جَنَّتِي . آجلا .

وكانت التهيئة التى يقوم بها ، صلى الله عليه وسلم ، استعداداً لشروق نور هذه الليلة الشريفة ، إنما هى الاعتكاف .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يعتكف عادة فى العشر الأواخر من رمضان ، فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم العشرين من الشهر المبارك : يدخل متفرغاً للعبادة ، متجهاً إلى الله بكل كيانه .

وما من شك : فى أن الاعتكاف فى المسجد ، يهيئ الجو لجمع الخواطر ، ويهيئ الصفاء القلبى ، فيتفرغ الإنسان للطاعة ، متشبهاً بالملائكة ، ويتعرض بذلك لليلة القدر .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يحث الصحابة على هذا الاعتكاف ويشجعهم عليه ، التماساً لمرضاة الله تعالى ، وتعرضاً لإشراق ليلة القدر .

وهى ليلة يكون فيها انتشار الروحانية بقراءة القرآن ، والصلاة والذكر ، وتنزل فيها الملائكة طائفة بالذاكرين ، مستغفرة لهم ، ومصلية عليهم ، ومبشرة لهم .

عن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا كان ليلة القدر ، نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة ، يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد ، يذكر الله تعالى » .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ :

أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » .

إن أنوار المؤمنين المتبتلين فى تلك الليلة ، تتلألأ متألقة فيما بينهم ، وتمتزج فتجذب بتلألئها الأرواح الملائكية ، فتقترب من المتعبدين ، فتزيد فى الصفاء ، فيكون انشراح الصدور ، ووضع الأوزار التى تنقض الظهور ، ويكون غسل القلب بالماء والثلج والبرد ، وتتوفر بكل ذلك وسائل التعرض لنفحات الله .

« إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

وليلة القدر من نفحات الله التى يستجاب فيها الدعاء ، وتغفر الذنوب للتائبين المنيبين ، وهى فى أوتار العشر الأواخر من رمضان .

يقول صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الإمام البخارى رضى الله عنه :

« تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا دخل العشر الأواخر من رمضان : أحيا الليل كله ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر . ولكن أى ليلة هى ؟

لقد أخفاها الله سبحانه لحكمة هى : إحياء عدد من الليالى فى طاعة الله ، التماساً لها ، أما هذا الذى وهبه الله التوفيق ، فأحياها ملتمساً مرضاة الله فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه .

يقول صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الإمام البخارى رضى الله تعالى عنه :

« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً : غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وبعد :

فقد روى الإمام الترمذى ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :

« قلت : يا رسول الله : أرأيت إن علمت أى ليلة ، ليلة القدر ما أقول فيها ؟ »

قال صلى الله عليه وسلم :

« قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عنى » .